# أثر التوازي التركيبي في بنية المفارقة

## دراسة نصية في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٤٢٠٣ لسنة ٢٠١٧

سلسلة دراسات في عهد الإمام
علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) (٢٤)
وحدة الدراسات الاجتماعية

# أثر التوازي التركيبي في بنية المفارقة

## دراسة نصية في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضي الله عنه)


تأليف
أ. م. د. لمى عبد القادر خنياب



إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1438هـ - 2017م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: 07728243600 - 07815016633

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Info@ Inahj.org

**تنويه:**

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المؤسسة



الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعمٍ ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وإنّ خير ما يُرجع إليه في المصاديق لحَديث

الثقلين «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحيّة النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) إلا أنموذجٌ واحدٌ من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية التي اكتنزت في متونها الكثير من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متّخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية

التي هي أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان وإصلاح متعلقاته الحياتية وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية والموسومة بـ(سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله))، التي يتم إصدارها بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية التي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة المفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.



وجاء في البحث بيان أثر التوازي التركيبي في العهد الشريف بنوعيها الفعلي والاسمي، فقد تناول التوازي الفعلي في بيان الاثبات والنفي والنهي، وتناول التوازي الاسمي الذي اشتمل على بناء الجملة الاسمية وما جاء فيها

من توازي وتقابل في الجمل مما أضفى جمالية على النص المدروس من خلال تلك المتوازيات المتنوعة والمتكررة في فقراته.

فجزى الله الباحثة خير الجزاء فقد بذلت جهدها وعلى الله أجرها، والحمد لله رب العالمين.

**السيد نبيل الحسني الكربلائي**
**رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة**

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة



الحمد لله مستحق الحمد والصلاة والسلام على خير البرية أحمد، وآله الأبرار الأطهار وصحبه الأخيار، وبعد ...

لما كان التوازي سمة إيقاعية لصيقة بالشعر، فقد سعى هذا البحث إلى تطبيق مقولة التوازي على كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر لاحتساب مدى شعرية هذا النص ؛ لأن هذا النمط من النصوص – أعني النصوص النثرية ذات البلاغة العالية – تُعد منطقة وسطى

بين لغة الشعر ولغة النثر الاعتيادي أو التأليفي، فلاحتساب مستوى الشعرية فيها جرى اختبار مقولة التوازي فيها .

لكن التوازي التركيبي بوصفه تكراراً لنظم الجمل وأشباهها فهو إذن مقولة شكلية مفرغة من الدلالة، وهذا ما لا يقبله البحث، بل أثبت خلافه: وهو أنَّ التوازي يأتي قالباً شكلياً لجمل متماثلة أو متقابلة دلالياً، لجذب انتباه المتلقي للمماثلة بين جملتين أو أكثر أو للتضاد بينهما فجيء بهذا الوعاء الشكلي ليكون إيقاعاً موسيقياً داعماً للمعنى .

ونظراً لكثرة المصاديق في هذا المتن لما تقدم سيكتفي البحث برصد الجمل المتقابلة دلالياً ؛ ليتسنى لنا الكشف لاحقاً عن بنية المفارقة وأثر التوازي التركيبي في المفارقة اللغوية في هذا النص المدهش.

## توطئة:

التوازي صفة لصيقة بالآداب جميعاً أتفق الباحثون على أنَّه من السمات الفنية للشعر خاصة، قال جاكبسون: « **إنَّ المسألة الأساسية للشعر تكمن في التوازي وقد لا نخطئ حين نقول: إنَّ بنية الشعر هي بنية التوازي المستمر** »(١). « **فهو سمة إيقاعية قلما يخلو شعر منها** »(٢) حتى « **صار ينظر إلى التوازي باعتباره [كذا] علامة على الشعرية وغيابه علامة على البعد النثري** »(٣) لكن البحث يسعى إلى اختبار مقولة التوازي – وهي خاصية شعرية بحسب ما تقدم – على نص

(١) قضايا الشعرية: ١٠٥ – ١٠٦

(٢) التوازي في شعر يوسف الصائغ: ٩

(٣) جمالية التوازي في شعر نزار قباني: ٣٢

نثري وما استشفع به في هذا المقام هو إمكانية تلمس التوازي في الفنون النثرية لأنَّ الشعرية سمة للنصوص الإبداعية نثرية وشعرية وليست مقصورة على الشعر فقط، بل تطرد على الفنون النثرية التي جاوزت اللغة الاعتيادية إلى لغة أدبية رفيعة تشتمل على الفنون البلاغية التي ذكرها جاكبسون من تشبيه واستعارة ومقابلة وسجع وغيرها، فضلاً عن أنَّ أول محاولة لرصد التوازي أجريت على نصٍ نثري، وهي المحاولة التي قام بها (روبرت لوث ١٧٥٣م) إذ حلل الآيات التوراتية في ضوء التوازي[1].



ثم جرى استثمار مقولة التوازي في الشعر لا حقاً؛ لتمظهرها فيه بشكل لافت بفعل الوزن والقافية التي تضفي عليه إيقاعاً موسيقياً متكرراً.

لما كان التوازي هو «تنمية لنواة معينة بإركام

(١) ينظر التشابه والاختلاف: ١١١

قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعنوية وتداولية ضماناً لانسجام الرسالة »[1] فهذا يعني أنَّ التوازي يشتغل على مستويات اللغة جميعاً: صوتاً، وصرفاً، ونحواً، ودلالة وما يؤكد هذا أنَّ البنية الشعرية ذات طبيعة تكرارية منتظمة في نسق لغوي ويجمل جاكبسون الأدوات الشعرية التكرارية بقوله: « منها الجناس والقافية والترصيع والسجع والتطريز والتقسيم والمقابلة والتقطيع والتصريع وعدد المقاطع أو التفاعل والنبر والتنغيم ويمكن لبنية التوازي هذه أن تستوعب الصور الشعرية بما فيها التشبيهات واستعارات ورموز »[2].



وما يهمنا في هذا البحث من صور التوازي هو التوازي التركيبي، لكن هذا لا يعني أنَّه

(١) تحليل الخطاب الشعري: ٢٥
(٢) قضايا الشعرية: ٧- ٨

توازٍ معرى عن فحواه الدلالي بل التوازي بوصفه وعاء لنمط معين من الدلالة وهي المفارقة اللغوية التي تتأسس على التقابل الدلالي بين بعض المفردات مما يفضي إلى مفارقة بين التركيبين اللذين سُبكا في وعاءٍ شكلي متناظر وسم بالتوازي وتقوم المفارقة على الجمع بين المتناقضات لتحقيق الدهشة عند المتلقي بكسرها نسق توقعاته، بإقامة علاقات ذهنية بين الألفاظ[1]، لتسجل تناقضاً بين ظاهرتين تثير تعجب متلقيها من دون الحاجة إلى تفسير أو تعليل[2].



تبدأ المفارقة غالباً من اللغة إذ يتحقق التقابل

(١) المفارقة، نبيلة إبراهيم: ١٢٣، مجلة فصول،مج: ٧،ع ٣-١٩٨٧،٤م .

(٢) ينظر ابن سينا الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، عبد العزيز الاهوان: ١٠٥

اللغوي على المستوى السطحي للتركيب، بيد أنَّ عنصر الدهشة يدفع بالمتلقي إلى الغوص في أعماق دلالات التراكيب كشفاً عن مرام منتج النص.

**التوازي التركيبي:**

تقدم القول: بأنَّه يمكن لنا رصد أشكال التوازي على مستويات اللغة جميعاً ومن بينها المستوى النحوي إذ يستحيل فيها التركيب أوعية متشابهة للمعاني المختلفة أو المترادفة، وقد عرَّفه د. صلاح فضل بقوله: هو « من أشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول والنغمة والتكوين النحوي بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة في الخطاب»[1].

على حين ذهب د. عفيفي إلى أنَّه « تكرار



(١) بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٩٨

لنظم الجمل وشبه الجمل مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل حيث تبنى بشكلٍ متوازٍ في الشعر أساساً وفي النثر وفق هذا المفهوم»[1] . ويريد د. عفيفي بشبه الجمل في كلامه المتقدم أجزاء الجمل وأبعاضها ولا يريد بـ(شبه الجملة) المصطلح القار في الدرس النحوي .



وعليه يكون التوازي التركيبي هو تكرار لمباني الجمل[2].

## ١. المتوازيات الفعلية:

**المتوازيات الفعلية في سياق الإثبات:**

قال (عليه السلام): «**فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِكَ وَ أَنْقَاهُمْ جَيْباً وَ**

(١) نحو النص: ١١١

(٢) ينظر نحو آجرومية للنص الشعري: ١٥٩

**أَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ اَلْغَضَبِ وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى اَلْعُذْرِ وَ يَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَ يَنْبُو عَلَى اَلْأَقْوِيَاءِ وَ مِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ اَلْعُنْفُ وَ لاَ يَقْعُدُ بِهِ اَلضَّعْفُ** »[1].

أولى هذه المتوازيات ترد في قوله (عليه السلام) المتقدم ونصها (يرأف بالضّعفاء و ينبو على الأقوياء) تأتي هذه المفارقة منسبكة في التوازي الآتي [فعل مضارع+ حرف جر + اسم مجرور]

مشفوعة بإيقاع موسيقي ضمنته الفاصلة (أقوياء / ضعفاء) ، وتتوكأ المفارقة في هذا التوازي على المتقابلات اللغوية (يرأف ≠ ينبو،و أقوياء ≠ ضعفاء) .

إنَّ هذا التوازي قد جاء في سياق الأوصاف التي سردها (عليه السلام) لقائد الجند حاملاً لمفارقة لافتة (يرأف بالضّعفاء / ينبو على الأقوياء)

(١) نهج البلاغة: ٣٩٨

وقد فسر ابن أبي الحديد قوله (عليه السلام): (ينبو على الأقوياء) «يتجافى عنهم أي لا يُمكِّنهم من الظلم والتعدي على الضعفاء»[1].

ولا أرى أنَّ معنى الفعل (نبا) هاهنا يراد به جفا وتباعد بدلالة حرف الجر (على) فلو أُريد به التجافي والبعد لتعدى بـ(عن) لكنَّه أراد به العلو[2]، وكأنه أراد مَن يشتد عليهم ويعلو ليكف أيديهم عن ظلم الضعفاء[3].

ومنه قوله (عليه السلام): « **وَ أَمَّا بَعْدُ فَلاَ تُطَوِّلَنَّ اِحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ اِحْتِجَابَ اَلْوُلاَةِ عَنِ اَلرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ اَلضِّيقِ وَ قِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَ اَلِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا اِحْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ اَلْكَبِيرُ وَ يَعْظُمُ اَلصَّغِيرُ**

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧ / ٣٦
(٢) ينظر لسان العرب (نبا) ١٥ / ٣٠٢
(٣) ينظر شرح نهج البلاغة (محمد عبده): ٥٢٤

**وَ يَقْبُحُ اَلْحَسَنُ وَ يَحْسُنُ اَلْقَبِيحُ وَ يُشَابُ اَلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ**»[1].

يحتشد النص بالمتوازيات أولها: (فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير) يعرب الإمام في هذا التوازي عن معنى جليل فإنَّ فعل واحد تتأسس عليه نتيجتان متضادتان أما الفعل المؤسس فهو احتجاب الولاة عن الرعية الذي يترتب عليه النتيجة الأولى تصغير العظيم ثم النتيجة الثانية المغايرة للأولى تعظيم الصغير، والنتيجتان متناقضتان على المستوى السطحي لكنهما على المستوى العميق يتماثلان فكلتاهما تكشف عن الجهل وسوء التقدير الناجم عن الابتعاد عن الناس (الحقيقة) .

ولا يبتعد التوازي الثاني عن سابقه كثيراً ونصه: (يقبح الحسن و يحسن القبيح) الذي

(١) نهج البلاغة: ٤٠٧

يستند إلى الفعل المؤسس نفسه (احتجاب الولاة عن الرعية) مما يؤدي إلى تزييف الحقائق فيجمل وزراؤه وحجابه ما يريدون تجميله ويقبحون ما يريدون والنتيجتان متضادتان سطحياً متماثلات جوهرياً.

## *المتوازيات الفعلية في سياق النفي:



قال عليه السلام: « **بِسْمِ اَللهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اَللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ اَلْحَارِثِ اَلْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اِسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلاَدِهَا أَمَرَهُ بِتَقْوَى اَللهِ وَ إِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَ اِتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ اَلَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا وَ لاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا**»[1].

(١) نهج البلاغة: ٣٩٢ - ٣٩٣

إنَّ النواة التي يلتف عليها النص بأسره هي (فرائض الله وسننه) فكانت موطن عنايته (عليه السلام) فأراد لها أن تجذب انتباه متلقيه وترسخ في نفوسهم فتخير لها جملة أمور لخدمتها:

أولاً جعلها الحدث الذي تتأسس عليه نتيجتان متقابلتان على المستوى السطحي متحدتان على المستوى العميق: الأولى (لا يسعد أحد إلا بإتباعها) والثانية (لا يشقى إلا مع جحودها) فضمنت بنية المفارقة خيارين متقابلين لمرجع واحد (فرائض الله وسننه) وقد ارتكزت هذه المفارقة على متقابلات لغوية هي: (يسعد ≠ يشقى، إتباعها ≠ جحودها= إضاعتها) .

وبالنظر إلى الثنائية الأولى (يسعد ≠ يشقى) نلحظ توظيفاً مباشراً لهذه الألفاظ فقابل عليه السلام بين السعادة والشقاوة[1] مقابلة مباشرة



(١) قال ابن منظور: « السعادة خلاف الشقاوة « (سعد):

لتسلم إلى النتيجة المرجوة من دون تفكر وطول تدبر، أما الثنائية الأخرى فقد وضعت (اتبع) في مقابل اللفظين (جحد وضاع) وواضح الفارق الدلالي بين هذه الأفعال فكل منها ينتمي إلى حقل دلالي مغاير فالفعل (اتبع) يدل على السير في إثر الشيء وقفاه وتطلّبه[1]،بخلاف الفعل (جحد) الذي يدل على الإنكار مع العلم بفضله[2]،على حين يدل الفعل (ضاع) على الإهمال[3]، وقد جمع(عليه السلام) بين (جحدها وضياعها) لتوصيف أحوال الولاة في ترك فرائض الله إما بالإنكار المتعمد أو بالإهمال والتقصير .



٣ / ٢١٣، وقال في موضع آخر « الشقاء والشقاوة بالفتح ضد السعادة » لسان العرب ( شقي): ١٤ / ٤٣٨

(١) ينظر لسان العرب (تبع): ٨ / ٢٧

(٢) ينظر الفروق اللغوية: ٥٧، و لسان العرب (جحد): ٣ / ١٠٦

(٣) ينظر لسان العرب: (ضيع): ٨ / ٢٣١

ثم في المحصلة النهائية سبكت هذه المتقابلات بما تفضي إليه من مفارقة في قالب شكلي قوامه: [لا النافية + فعل مضارع + فاعل + إلا الاستثنائية+ حرف جر + اسم مجرور + الضمير العائد على الفرائض]، كانت فيه (إلا) بيضة قبان لا يتحقق ما قبلها إلا بتحقق ما بعدها، فلا يسعد المرء إلا بإتباع الفرائض ولا يشقى إلا بتضييعها .



ومنها أيضاً ما جاء في قوله (عليه السلام): «**فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِكَ وَ أَنْقَاهُمْ جَيْباً وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ اَلْغَضَبِ وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى اَلْعُذْرِ وَ يَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَ يَنْبُو عَلَى اَلْأَقْوِيَاءِ**»[1]

النص زاخر بالمتوازيات التركيبية المتوالية التي وظفها الإمام في سياق تحديد صفات قائد الجند منها متوازيات مترادفة: (أنقاهم جيباً و

(١) نهج البلاغة: ٣٩٨

أفضلهم حلماً )، و (يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر) ومنها ما هي متوازيات ضدية (يرأف بالضّعفاء و ينبو على الأقوياء) التي سنأتي على تحليلها لاحقاً و ما يستوقفنا هاهنا قوله (عليه السلام): **(لا يثيره العنف و لا يقعد به الضّعف )**،واضح مدى الانسجام الصوتي الذي تحققه السجعات ( الضعفاء، الأقوياء) و (العنف، الضعف) يظهر التوازي التركيبي في الجملة الفعلية المنفية بـ(لا) قالباً شكلياً لبنية المفارقة اللغوية في قوله (عليه السلام): **(لا يثيره العنف و لا يقعد به الضّعف )** بعد أن ضمن لها الإيقاع الصوتي المناسب ففي قوله (عليه السلام): **(لا يقعد به الضّعف)** كسراً لأفق توقع المتلقي فالمتلقي يتوقع تركيباً مترادفاً مع الأول ولا سيما وهو متجانس معه تركيبياً وإيقاعياً غير أنَّه (عليه السلام) جاء بتركيب مفارق دلالياً عن سابقه، لكن هذا التقابل بين (عنيف ≠ ضعيف) لا يُعد

تقابلاً مباشراً ولو أراد التقابل المباشر لقابل بين القوة والضعف، فالعنف ضد الرفق وهو الخرق بالأمر[1] أما القوة فهي نقيض الضعف[2]، وكأن هذه الثنائية الضدية تكشف عن الصفة التي يريد الإمام توفرها في قائد الجند وهي (لا العنف ولا الضعف) بل هي القوة ؛ لان القوي «هو الذي يقدر على الشيء وعلى ما هو أكثر منه»[3] بحكمة وعدل.



## *المتوازيات الفعلية في سياق النهي:

يشيع في هذا الضرب من التأليف – أعني العهود والوصايا – استعمال أسلوبي الأمر والنهي فهو في فحواه توجيه من ولي الأمر إلى عماله، ومن قبيل ما جاء في عهده (عليه السلام) لملك الاشتر

(١) ينظر لسان العرب (عنف) ٩ / ٢٥٧
(٢) ينظر لسان العرب: (قوي) ١٥ / ٢٠٧
(٣) الفروق اللغوية: ١٢٣

من المتوازيات الفعلية في سياق النهي قوله (عليه السلام): « **لاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَ لاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَ لاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً وَ لاَ تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي اَلْقَلْبِ وَ مَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَ تَقَرُّبٌ مِنَ اَلْغِيَرِ**»[1].

في النص ثلاث متواليات متوازية تنسبك في القالب الآتي:

[ لا الناهية + فعل مضارع + جار ومجرور ]

وهي:

لا تندمنّ على عفو

لا تبجحنّ بعقوبة

لا تسرعنّ إلى بادرة

تكمن المفارقة في هذه المتوازيات في المتقابلات

(١) نهج البلاغة: ٣٩٤

اللغوية الآتية: (عفو ≠ عقوبة = بادرة )

أما العفو فهو « التجاوز عن الذنب وترك العقاب»[1] على حين يحيل العقاب على الجزاء[2] أما البادرة فهي الحدة « وهو ما يبدو من حدة الرجل عند غضبه من قول أو فعل»[3] وبهذا تكون البادرة والعقوبة في حقل دلالي واحد في مقابل (العفو) وبهذا تكون هذه المتوازيات تعرب عن ثلاث حالات قد تنتاب الوالي والحاكم وهي: الندم على العفو التي تشكل في مستواها السطحي تضاداً مع التبجح بالعقوبة والتسرع في الحدة لكن الحقيقة في جوهرها جميعاً تدعو إلى الحلم والوسطية في التعامل مع الرعية .

ومنه أيضاً ما جاء في قوله (عليه السلام): «**ولا**

(١) لسان العرب (عفو) ١٥ / ٧٤
(٢) ينظر نفسه: (عقب) ١ / ٦٢٠
(٣) نفسه: (بدر) ٤ / ٤٨

**تَنْقُضْ سُنَّةً صالحةً عَمِلَ بها صُدورُ هذه الأُمّةِ، و اجْتَمَعَتْ بِها الأُلْفَةُ، و صَلَحَتْ عَلَيها الرّعيّةُ، و لا تُحْدِثَنَّ سُنّةً تَضُرُّ بشيءٍ مِن ماضي تلكَ السُّنَنِ فَيكونَ الأجرُ لمنْ سَنَّها، و الوِزْرُ عليكَ بما نَقَضْتَ مِنْهَا»**[1] .

يظهر التوازي في قوله (عليه السلام): (لا تنقض سنّة) و (لا تحدثنّ سنّة) المتركب في القالب الآتي [لا الناهية+ فعل مضارع + فاعل ضمير مستتر + مفعول به ] وفي النص مفارقة بين نقض السنة الصالحة واستحداث سنة سيئة، تتأسس على التقابل اللغوي بين الفعلين (تنقض ≠ تحدث) .

ومنه أيضاً قوله (عليه السلام): « **لاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ اِمْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً وَ لاَ ضَعَةُ اِمْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ**

(١) نهج البلاغة: ٣٩٧

عَظِيماً»[1].

**٢ـ المتوازيات الاسمية:**

ومنها قوله (عليه السلام): «**وَ لاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اَللَّهِ فَإِنَّهُ لاَ يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَ لاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَ رَحْمَتِهِ**»(٢). ونص التوازي فيه (لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه)



يأتي التوازي على التركيب الآتي:

[لا النافية + اسمها + خبرها (جار ومجرور (كاف الخطاب))+ جار ومجرور]

يشتمل وعاء التوازي هذا على مفارقة بديعة تتمحور على تقابل دلالي بين (النقمة ≠ العفو) فضلاً عن الاستعارة في (لا يد) التي كنى بها (عليه السلام) عن القوة والقدرة، فيكشف النص عن

(١) نهج البلاغة: ٤٠٠

(٢) نهج البلاغة: ٣٩٤

حاجة العبد لربه في اثنين: لا قدرة له على رد نقمته وفي الوقت نفسه لا غنى له عن عفوه ورحمته.

ومنه أيضاً ما جاء في قوله (عليه السلام): «**وَلْيَكُن أَحَبّ ُ الأُمُورِ إِلَيكَ أَوْسَطُها في الحَقّ وَأَعَمُّها في العَدلِ وَ أَجْمَعُهَا لِرِضَى اَلرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ اَلْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى اَلْخَاصَّةِ وَ إِنَّ سُخْطَ اَلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى اَلْعَامَّةِ**»[1].

ونص التوازي: (فإنّ سخط العامّة يجحف برضا الخاصّة

إنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة)

يشتمل النص على مفارقة جوهرها جدلية (خاصة الحاكم وبطانته / عامة الناس) فرضا الأولى ينعكس سلباً على الثانية والعكس

(١) نهج البلاغة: ٣٩٥

بالعكس، وهنا يرجح الإمام رضا العامة على رضا الخاصة ويوجه مالكاً لذلك معللاً ذلك بجملة متواليات متوازية إذ قال (عليه السلام): « **وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ اَلرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى اَلْوَالِي مَئُونَةً فِي اَلرَّخَاءِ وَ أَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي اَلْبَلاَءِ وَ أَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَ أَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَ أَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ اَلْإِعْطَاءِ وَ أَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ اَلْمَنْعِ وَ أَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ اَلدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ اَلْخَاصَّةِ وَ إِنَّمَا عِمَادُ اَلدِّينِ وَ جِمَاعُ اَلْمُسْلِمِينَ وَ اَلْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ اَلْعَامَّةُ مِنَ اَلْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَ مَيْلُكَ مَعَهُمْ** » .



انظر إلى المتوازيات الآتية: أثقل على الوالي مؤونة في الرّخاء

أقلّ معونة له في البلاء

وقالبه التركيبي [مبتدأ (أفعل تفضيل)+ جار ومجرور + تمييز + خبر (جار ومجرور) ]

وما ينطوي عليه هذا التوازي من مفارقة تعري أهل الخاصة وحالهم في الرخاء والبلاء صورها الإمام خير تصوير، شفت عنها المتقابلات اللغوية: (أثقل ≠ أقل،و معونة ≠ مؤونة،و الرخاء ≠ البلاء) مع مراعاة للمناسبة الصوتية بين المتقابلات .



وكذا التوازي الثاني:

أكره للإنصاف

أسأل بالإلحاف

ينطوي هذا التوازي أيضاً على مفارقة لحال أهل الخاصة منسبكة في التركيب الآتي:

[أفعل تفضيل (مبتدأ) + خبر (جار ومجرور)].

يردفه بتوازٍ ثالث وهو:

أقلّ شكراً عند الإعطاء

أبطأ عذراً عند المنع

أضعف صبراً عند ملمّات الدّهر .

كان التركيب الآتي وعاء لها:

[أفعل تفضيل (مبتدأ) + تمييز + ظرف + مضاف إليه (خبر)] .



واشتمل هذا التوازي على مفارقة فضحت بطانة الحكام بتوظيف التقابل بين (الإعطاء ≠ المنع) ويعود بنا النص الأخير (أضعف صبراً عند ملمّات الدّهر) ليسبك النص مع ما تقدم فهو تكرار لقوله (عليه السلام): (أقلّ معونة له في البلاء) فضلاً عن تصدر صيغة أفعل التفضيل في المتوازيات جميعاً بوصفها شكل من أشكال الاتساق النصي[1].

(١) ينظر الإحالة دراسة نظرية: ٨٣

ومن قبيل المتوازيات الاسمية ما جاء في قوله (عليه السلام): «**وَلاَ يَكُونَنَّ اَلْمُحْسِنُ وَ اَلْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ اَلْإِحْسَانِ فِي اَلْإِحْسَانِ وَ تَدْرِيباً لِأَهْلِ اَلْإِسَاءَةِ عَلَى اَلْإِسَاءَةِ وَ أَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ**»[1].

يشف النص عن متوازيان يبدوان في ظاهرهما متقابلان: **تَزْهِيداً لِأَهْلِ اَلْإِحْسَانِ فِي اَلْإِحْسَانِ تَدْرِيباً لِأَهْلِ اَلْإِسَاءَةِ عَلَى اَلْإِسَاءَةِ**

لما يشتملان عليه من متقابلات لغوية مباشرة (أهل الإحسان ≠ أهل الإساءة)،و (الإحسان ≠ الإساءة) فضلاً عن التقابل غير المباشر في (تزهيداً≠ تدريباً) بإحالة الأول على القلة ودلالة الثاني على الكثرة، لكنَّهما على المستوى العميق يجريان في المعنى نفسه وهو النهي عن مساواة المحسن بالمسيء لأنَّه يودي إلى نتيجتين: الأولى

(١) نهج البلاغة: ٣٩٦ - ٣٩٧

تتعلق بالمحسن وزهده بالإحسان، وثانية تتعلق بالمسيء وتعوده على الإساءة.

**الخاتمة:**

الحمد لله ثانية، بعد بحث موضوعة التوازي التركيبي في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر تبيّن لنا جملة أمر يمكن إجمالها فيما يأتي:

*على الرغم من عدّ الدراسات النقدية التوازي سمة لصيقة بالشعر لكنَّنا نرى أنَّ للنثر نصيب منها ولا سيما الخطابة والوصايا والعهود التي تتسم بلغتها العالية وبلاغتها الجلية.

*إنَّ التوازي مظهر من مظاهر الاتساق الشكلية؛ لذا درسها كثير من النصيين في المستوى الصوتي غير أنَّ البحث أثبت عدم خلوها من الدلالة، بل يأتي التوازي وعاء مناسباً لتقديم الدلالة لتكون أكثر تأثيراً في متلقيها .

*معظم المتوازيات التي وقف عليها البحث في النص المدروس كانت إما وعاء لنصين

متقابلين دلالياً أو نصين متماثلين دلالياً، مما يعزز النتيجة السابقة بعدم خلو القالب المتوازي من الدلالة .

*تنصهر المتقلابلات الدلالية في بنية التوازي محققة في المحصلة النهائية مفارقة لغوية، تكسر أفق التوقع وتحقق الادهاش .



*هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين وآله الطيبين الطاهرين.

**المصادر**

القرآن الكريم

*ابن سينا الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، د.عبد العزيز الاهواني، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة/ ١٩٦٢م .

*بلاغة الخطاب وعلم النص، الدكتور صلاح فضل، عالم المعرفة (١٦٤)، ١٩٩٢م .

*تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، الدكتور محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٥م .

*التشابه والاختلاف، الدكتور محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط١،الدار البيضاء، ١٩٩٦م.

*شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد،ط١،

٢٠٠٧م.

*الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري( ت٤٠٠هـ) علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣،٢٠٠٥م.

*قضايا الشعرية، رومان جاكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨م .

*لسان العرب، للإمام العلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت

*نهج البلاغة الجامع لخطب ورسائل وحكم أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام شرح محمد عبده،أشرف على تحقيقه وطبعه عبد العزيز سيد الأهل،منشورات مكتبة

التحرير، د. ت .

*نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق الشيخ فارس حسون .

**البحوث والدوريات**



*التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، سامح رواشدة، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، المجلد (١٦)، العدد (٢) لسنة ١٩٩٨م.

*المفارقة، نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول،مج: ٧،ع ٣-١٩٨٧،٤م .

*نحو آجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية،سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد (١٠)، العدد (١- ٢) ١٩٩١م .

## الرسائل والاطاريح

*جمالية التوازي في شعر نزار قباني نحو مقاربة سيميائية أسلوبية، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الحاج لخضر، بتانة، الجزائر،للطالب يوسف بيدة، لسنة، ٢٠١٣ – ٢٠١٤.

# المحتويات

مقدمة المؤسسة..... ٥
مقدمة ..... ٩
توطئة: ..... ١١
التوازي التركيبي:..... ١٥
١- المتوازيات الفعلية: ..... ١٧
٢- المتوازيات الاسمية:..... ٢٩
الخاتمة:..... ٣٦
المصادر: ..... ٣٨

تم بحمد الله